١٨ ــ شجاعة

شجاعة[١] بارعة رائعة . شجاعة فائقة رائقة . شجاعة ساحقة ماحقة هذه التى يظهرها بعض النواب من حين إلى حين .

شجاعة لا أدرى كيف يحتملها أصحابها ، وكيف يثبتون لأثقالها الثقيلة ، وأهوالها الهائلة مع أنها مخيفة حقا ، مروعة حقا ، ومزعجة حقا للآمنين والخائفين على السواء .

شجاعة نادرة باهرة ، هذه التى يتخذها بعض النواب إذا تحدثوا عن خصومهم أفرادا وجماعات تحت قبة البرلمان ، فهم يطلقون ألسنتهم فى هؤلاء الخصوم بالحق والباطل ، وبالخطأ والصواب ، وبالجد والهزل لا يقدِّرون شيئا ، ولا يحسبون حسابا ، وإنما ينطلقون وكأنما خلِّى بينهم وبين الحركة ، فليس إلى تسكينهم ولا إلى تهدئتهم من سبيل .

هذا أحدهم وقف أول أمس فأطلق لسانه فى الصحف وكتَّاب الصحف ، واستعدى على الصحف وكتَّاب الصحف وزير الداخلية ، ووزير الحقانية ، والنيابة العامة . ولو أن طاقته البشرية ما لا تسع طاقة الناس لطلب أن تعطل الصحف كلها إلا صحف الوزارة ، وأن يسجن الكتَّاب كلهم إلا كتَّاب الوزارة ، وأن تشتد الوزارة فى التعطيل والمصادرة ، وأن تسرف الوزارة فى إرهاق المسجونين من الكتاب والصحفيين ، ومن النقد والناقدين ، وتركت له الجو طلقا يقول فلا يسأل عما قال ، ويفعل فلا يسأل عما فعل ، ويأتى ما شاء من الأمر فلا يرتفع صوت إنكار ، ولا ينطلق لسان باحتجاج .

ومصدر هذه الثورة الثائرة الذى أقحم يها هذا النائب نفسه أن رجلا فيما يقال حاول أن يعتدى على رئيس الوزراء ، فيجب أن يسأل خصوم رئيس الوزراء جميعا عن محاولة هذا الرجل !! ويجب أن تؤخذ صحف المعارضة كلها بمحاولة هذا الرجل !! ويجب أن تشتد الوزارة على هذه الصحف حتى تبلغ أقصى الشدة وتنتهى إلى غاية العقاب !!

---

(١) ١٨ ــ ٥ ــ ١٩٣٣ .

ولكن هذا النائب وأمثاله خليقون أن يعلموا أن الإسراف فى النذير قد يتجاوز غايته ، وينتهى إلى عكس ما يراد به ، فيضحك بدل أن يحزن ، ويسرى عن النفوس بدل أن يبعث فيها الخوف والإشفاق . ذلك أن الإسراف مضحك بطبعه ، فهو لا يصدر إلا عن تقصير فى التفكير ، وتفريط فى ذات المنطق والعقل .

وقد كنا نحب لهذا النائب وأمثاله أن يكونوا نماذج للقصد والاعتدال ، لا نماذج للغلو وتجاوز الحدود . وقد كنا نحب أيضا أن يسيطر هؤلاء النواب على أنفسهم ويأخذوها بشىء ولو قليل من العدل ، فلا يستأسدوا على الأمة وحدها ، ولا يضعفوا أمام الوزارة وحدها .

قد كنا نحب لهم أن يظهروا هذه الشجاعة الرائعة البارعة بإزاء هذه الحوادث المخزية المزرية التى لا تؤذى النفوس فحسب ، ولكنها تشين كل وزارة تقع فى ظلها ، وتمس شرف الدولة التى تحدث تحت أجنحتها .

نعم كنا نحب أن يصول هذا النائب وأمثاله ويجولوا وأن يخطب هذا النائب وأمثاله ويقولوا ، وأن يقذف هذا النائب وأمثاله صواعق النذير على هؤلاء الموظفين الذين يقترفون الآثام ، ويجترحون الجرائم ، ويأتون المنكر من الأمر جهرة تحت ضوء الشمس المشرقة المحرقة ، لا يشفقون ولا يفرقون ، بل لا يتعرضون لما يدعوهم إلى الفَرَق أو الإشفاق .

نعم كنا نحب لهذا النائب وأمثاله أن يسألوا وزير الداخلية ويلحوا فى السؤال ، بل أن يستجوبوا وزير الداخلية ويلحوا فى الاستجواب عن هذه الحوادث التى أثبتها حكم القضاء على ضابط تطون ومن أعانه من رجال الشرطة الذين أقيموا ليمنعوا الإجرام ، فإذا هم يغرقون فى الإجرام إلى آذانهم ! الذين أقيموا ليحموا النظام فإذا هم أعداء النظام ، الذين أقيموا ليعصموا أجسام الناس من العذاب ، فإذا هم يصبون عليها العذاب ، الذين أقيموا ليحفظوا للناس كرامتهم ، فإذا هم يطأون كرامة الناس بأقدامهم . الذين أقيموا ليثبتوا للأجنبى أن فى مصر حكومة منظمة محضَّرة يمكن أن يطمئن الناس إليها ، ويستمتعوا بالأمن فى ظلها دون حاجة إلى

نظام الامتيازات ، فإذا هم يثبتون للأجنبى أنهم لا يؤمَنون على شيء ! لا يؤمَنون على نظام ، ولا عِرض ولا كرامة !!

نعم كنا نحب أن تظهر هذه الشجاعة الرائعة البارعة ، وأن يسأل وزير الداخلية بل يستجوب ليعلم مجلس النواب كيف استباحت وزارة الداخلية لنفسها أن تُبقى ضابطا فى عمله بعد أن اقترف ما اقترف من الجرائم ، وارتكب ما ارتكب من الآثام حتى ملأ قلوب قلوب الناس روعا وهولا ، وحتى أيأسهم من الرحمة ، وعقد ألسنتهم عن أن تجهر بالشكوى ، وعقَل أيديهم عن أن تكتب حتى الاستعطاف !!

نعم كنا نحب أن تظهر هذه الشجاعة الرائعة البارعة ، وأن يسأل وزير الداخلية بل يُستجوب : ماذا صنع بالمدير الذى حمى هذا الضابط وأقره فى عمله ، وتركه يجرد الناس من ثيابهم ، ويأمر الجند فيعبثوا بهم ، ثم يأمر الجند فيلقوهم فى مجتمع البول ، ثم يأمرهم ليغسلوا بهذا البول وجوههم وأعناقهم ، ثم يأمرهم ليتمضمضوا بهذا البول ويستنشقوه !!

كنا نحب أن تظهر هذه الشجاعة الرائعة البارعة فيسأل هذا النائب وأمثاله وزير الداخلية ، بل رئيس الوزراء عن هذه الحوادث التى سجَّلها القضاء ، أين حدثت ؟ أحدثت فى مصر التى هى جزء من أوربا ؟ أحدثت فى مصر التى يقال إن فيها قوانين ؟ أحدثت فى مصر التى نص الدستور على أن دينها الرسمى هو الإسلام ؟

وإذا كانت هذه الحوادث قد وقعت بالفعل فى مصر التى هى جزء من أوربا ، ففى أى جزء من أجزاء أوربا يغمس الناس فى البول ويؤمرون بأن يغسلوا منه الوجوه والأعناق ، وأن يملأوا منه الأفواه والأنوف ؟؟

وإذا كانت هذه الحوادث قد وقعت بالفعل فى مصر التى يقال إن لها قوانين ، ففى أى مادة من مواد القانون يباح للضباط والجند أن يغمسوا الناس فى البول ، وأن يأمروهم بأن يغسلوا به الوجوه والأعناق ، ويملأوا منه الأفواه والأنوف ؟!

وإذا كانت هذه الحوادث قد وقعت بالفعل فى مصر التى دينها الرسمى هو

الإسلام ، ففى أى نص من نصوص القرآن الكريم ، وفى أى نص من نصوص الحديث الشريف ، وفى أى نص من نصوص الفقه يباح للضباط والجنود أن يغمسوا عباد الله فى البول ، وأن يأمروهم ليغسلوا منه الوجوه والأعناق ، ويملأوا منه الأفواه والأنوف ؟؟

أى غسل هذا الذى أمر به المسلمون ؟ أى وضوء هذا الذى أمر به المسلمون ؟ أى منكر هذا الذى اقترف تحت ضوء الشمس المشرقة المحرقة ، وللإسلام شيوخه وعلماؤه ، وللإسلام وزارته ووزراؤه ، وللإسلام جنوده وأولياؤه ، وللإسلام حاميه وراعيه ، هذا الذى يزور الأضرحة ، ويتبرك بقبور الأولياء ؟!

كنا نحب أن تظهر هذه الشجاعة الرائعة البارعة فى مجلس النواب ، وأن يغضب النواب للحق ، لا للباطل ، وأن يدافع النواب عن كرامة الناس وأعراضهم ودينهم . فهذا كله خير من أن يتجنى النواب على الصحف ويحملوها إثم هذا الرجل الذى حاول أن يعتدى على رئيس الوزراء .

إن مجالس النواب لم تنشأ لتتهم الأبرياء ، ولم تنشأ لتأخذ الناس بالظن ، ولم تنشأ لتقذف الناس بغير الحق ، وإنما أنشئت لتدافع عن حقوق الأمم وترعى حرمات الناس ، وتصون كرامات الأفراد والجماعات ، وتأخذ الوزارة بحماية الحق والعدل والقانون .

نعم لم تنشأ مجالس النواب لتستأسد على الخصوم ، وتؤثر الأولياء والأنصار بالمودة والعطف واللين . كنا نحب أن يصطنع هذا النائب وأمثاله هذه الشجاعة الرائعة البارعة بإزاء أنفسهم فيسألوها : ما حكم الله ، وما حكم القانون ، وما حكم الدستور فى النواب الذين يمنحون ثقتهم وزارة تقع فى ظلها هذه الآثام ، وتقترف فى ظلها هذه الجرائم ، فلا تغضب ولا تثور ولا تتحرك حتى تكره على ذلك إكراها فتتحرك متثاقلة وهى تود لو استطاعت السكون ؟

ما حكم الله ، وما حكم القانون ، وما حكم الدستور فى نواب يقرون صدقى باشا فى الحكم ، وهم يعلمون أن حوادث البدارى قد وقعت ، وأنه أبى أن يمضى التحقيق فيها كما كان يريد شريكه فى الحكم ، فأخرج شريكه هذا من الحكم ! وهم يعلمون أن جرائم أخرى قد وقعت فى أسيوط فلم يعاقب صدقى

باشا مدير أسيوط ، بل حماه ورقّاه !! وهم يعلمون أن جرائم أخرى قد اقترفت فى الفيوم فلم يعاقب صدقى باشا مدير الفيوم .

نعم ما حكم الله فى هؤلاء النواب الذين يرون هذا كله فلا ينكرونه على الوزارة ، ولا يجرؤون على إسقاط هذه الوزارة ، فضلا عن أخذ جماعة من أشخاصها بحكم القانون !

إلى مثل هذه الأشياء يجب أن تتجه شجاعة النواب ، لا إلى الصحف وكتّاب الصحف فمهما يكن من أمر الصحف فلن تسىء إلى العدل فى مصر بمقدار ما أساءت الوزارة ، ولن تشين كرامة مصر بمقدار ما شانتها الوزارة ، ولن تثير حفائظ الناس بقدر ما أثارتها تصرفات الوزارة .

ولكن النواب سيستأسدون دائما على الصحف ، وسيرفقون دائما بالوزارة ، وسيستعدون وزير الداخلية ووزير الحقانية والنيابة العامة على الصحف ، وسيكفون دائما عن أن يستعدوا أنفسهم على الوزارة ، لأن قضاء الله قد جرى بأن تمتحن مصر ، ويجرب صبرها واحتمالها ، وسيثبت قضاء الله أن مصر صابرة على الأذى ، محتملة للمكروه ، محتفظة على ذلك بإبائها وحرصها على الحرية .

نعم سيثبت قضاء الله أن الامتحان كان عسيرا طويلا ، وأن مصر قد نجحت فيه .